مذكرات مقاتل من حصار صنعاء 67و1968م

(الحصار والحب من أجل الانتصار) لصالح قائد الكهالي

المدفعية لعبت دورا رئيساً في إبادة تجمعات العدو في تبتي النهدين

اتضح لي اثناء الشرح السريع من قبل قائد الموقع ان العجز بأطقم المدفعية لا يصدق!(فقد فهمت ان القوة في الموقع من الجنود هي من 25الى 30جندياً فقط، اي بمعدل فردين لكل مدفع ،اذا تركنا ثلاثة مدافع بدون اطقم وبعدها استمر القصف العنيف والمركز على هذا الموقع الخفي والمموه والذي لم يسبق للعدو اكتشافه كما سبق الاشارة وبعد توسع عملية القصف على جوانب الموقع وأطرافه اخذت النيران تقترب من الخيم حينئذ ذهب جميع افراد الموقع الى الملاجئ المعدة ،بينما ظل الاخ قائد الموقع جالسا فوق كرسيه ولم يغادره ،بل انه ظل يراقب قصف مدفعية العدو ،وكنت بجانبه ،وبينما كنت احاول إقناعه بضرورة الدخول الى الملجأ اجاب قائلا :(ان قذائفهم لا تصيب الا النساء والاطفال في العاصمة وبينما كان نقاشنا مستمراً حول المعركة فوجئنا بقذيفة هاون ثقيل تسقط على الخيمة التي كانت امامنا وحينها مرت شظية كبيرة من الفاصل الذي كان بيني وبين الاخ م/اول/ علي مثنى جبران قائد الموقع ،وقد شعرنا بالحرارة التي حملتها تلك الشظية تحرق اجسامنا. وعندما كنت احاول اقناع الاخ قائد الموقع بالتحرك الى الملجأ للابتعاد عن الخطر التفتنا الى الخلف فوجدنا ان الشظية قد احدثت فتحة كبيرة في حائط الزنك يمكن دخول اي فرد منها الى الجانب الاخر. كانت الابتسامة قد ارتسمت على شفتي م/اول علي مثنى جبران قائد الموقع فقد شعر أن تلك الشظية قد اخطت وبذلك نجونا من الموت المحقق ،وكان الحظ والقدرة الالهية وحدها هي التي انقذتنا ،فقد ساعد الفاصل القائم بين مقعدينا على مرور الشظية المنطلقة من قذيفة الهاون 180ملم الثقيل وعندما قسنا المسافة والفتحة التي احدثتها بعد انتهاء القصف وجدناها تتسع بالفعل لفرد واحد للدخول منها تركت الاخ علي مثنى الذي ظل مصمما على عدم الدخول إلى الملجأ، وكان من الواضح إن البقاء امام القصف يعني أن الانسان يعرض نفسة للهلاك بدون ثمن وبينما كنت متجهاً نحو باب الملجأ كان الاخ علي مثنى قد ترك مكانه واتجه نحونا ،إلى باب الملجأ لكن القصف كان قد توقف تماماً.

وبعد دقائق خرج الجنود من ملاجئهم وكانت الساعة تقترب من العاشرة صباحا وتم حصر القذائف التي سقطت على الموقع وكان مجموعها 85قذيفة اما الخسائر البشرية فكانت لأشيء والحمدلله ودمرت خمس خيام ،بما فيها من فراش للجنود ،وقتل كلب صغير في الخيمة التي سقطت عليها القذيفة ،وكان يقوم بتربيته واحد من الجنود بعد هذه الضيافة (الكريمة)التي تلقيتها في موقع المدفعية 37/م،ط بالمطار لاحظت ان قذائف الهاون تمر من فوق رؤوسنا في طريقها إلى صنعاء، وكانت تلك علامة انتهاء القصف على المطار وتحويلة الى المدينة كانت القذائف تنطلق ولم يكن الفاصل الزمني يتجاوز نصف او ربع دقيقة بين كل قذيفة واخرى وكانت القذائف مصوبه إلى شارع صالح الرحبي باب السبح بجانب منزل الكد ف ،وكان الشارع مزدحما بالناس وكان امام بيت الكد ف في هذا الوقت مجموعة من قبائل الذهب (قيفة والجبري)يلعبون على المزمار (الصوت الموسيقي الشعبي)وكان العازف على المزمار رجلا قصير القامة اعور العين ،مشوه الوجه بفعل مرض الجدري ،اما المغني الذي بجانبه فكان ابنه ،وهو طفل صغير يبلغ من العمر حوالي ست سنوات ،كان يجيد الغناء والضرب على الطبل الصغير الذي صمم على مقاسه وبينما القبائل متجمعة على الصوت الشعبي بصوت المغني الصغير والذي كان يثير التعاطف معه عند كل من رآه يغني ويرقص بطفولته البريئة، كانت الحلقة تتكون من 25الى 30(قبيلياً) وكانت المجزرة (السلخانة او المسلخ)القريبة من المكان مليئة بالمواطنين الابرياء ،وكان الشارع مليئا بالمارة ،وكان رجل كبير السن قصير القامة يجلس امام باب دكانه، وبجانبه طفلتان صغيرتان تراقبان الرقص بفرحة طفولية مع الضاحكين على المغني الصغير الذي يدق طبله ويغني بصوت عذب ترتجف له القلوب وفجأة دوى صوت انفجار القذيفة في الشارع لقد سقطت قنبلة الهاون الثقيل من عيار 180ملم وسط حلقة الرقص وقضت عليهم كما قتلت الكدف مع طفلتيه الصغيرتين ولم ينج سوى ذلك الطفل المغني وأبيه الذي كان يفرش بجانب الحلقة معطفه الصغير المتسخ لجمع النقود(البقش).

روى لي ذلك كله صاحب المطعم المجاور الذي نجا هو ايضا من شظية كانت قد اخترقت باب المطعم فمزقت الطاولة (او الميز) بينما اصابت دكة المطعم (الرصة ودسوت الطبخ)ومع ذلك كان صاحب المطعم ،وهو من سكان صنعاء الجدد يشعر بالرضاء لما حدث بالكدف فهو كما قال (رجعي وجشع ويملك نصف شارع صالح الرحبي ومطاعمه والدكاكين ويرفع الايجار بصورة متصاعدة ويعامل الوافدين الجدد الى صنعاء بحقد وبخبث) انتشر خبر هذا الحادث بسرعة البرق وحملت الخبر (سيارة التعيين)إلى معسكر المطار ،وقد اغضب الخبر الجنود الذين لم يتضرروا من سقوط 85قذيفة عليهم بينما قذيفة واحدة قضت على عشرات الابرياء بما فيهم الاطفال وبعد ان سمعنا خبر هذه الحادثة الاليمة ذهبنا للغداء في احدى الخيم الارضية ،وهي مموه وتعتبر اشبه(بملجأ)كان الغداء(كدم ومعلبات روسية سوفيتية)كما هو الحال في جميع المواقع؟! الامامية وبعد الغداء توجهت مع الاخ قائد الموقع م/اول علي مثنى جبران إلى حفرة المدفع الهاون الثقيل 160مليم صنع روسي ،وقد افهمني ؟(ان المدفع لا يحصل على قذائفه الا بأوامر رئيس الجمهورية شخصيا وانه سلاح محرم دوليا ؟)فقلت للأخ علي مثنى جبران ان الملكيين يضربوننا بعيار 180مليم صنع امريكي وهو عيار اكبر من سلاحنا وكيف تنتظر اوامر رئيس الجمهورية وهو الان هارب في مدينة تعز الا توافق معي يا اخ علي بهذا الراي فرد علي ضاحكا (وقال ان رئيس الجمهورية على هذا المدفع في مثل هذه الظروف هو من يسيطر عليه وعلى ذلك فانا الذي سوف اصدر الاوامر وسوف اقوم انا وانت بأطلاق قذيفة واحدة إلى قرية ارتل ،حيث أن المدفع بدون طقم بسبب عدم وجود الافراد وبسبب عجز قيادة سلاح المدفعية عن توفير الاطقم اللازمة لكل مدفع ،وحتى في مثل هذه الظروف الحرجة والخطيرة التي تمر بها ثورتنا وجمهوريتنا ؟!) وتوجهت مع الاخ قائد الموقع إلى ملجأ الذخيرة ،حيث كانت توجد عشرات الصناديق وقمنا بنقل صندوق واحد كانت توجد فيه قذيفة المدفع 160ملم وكانت علائم الحقد والكراهية الغير محدودة ظاهرة على وجه الاخ قائد الموقع وبعد تجهيز المدفع اصبحت مساعداً له حيث اصبحنا نحن الاثنين نقوم بمهمة الطاقم للمدفع الذي سيظل بدون طقم حتى تعيين القيادة الجديدة برئاسة الاركان ،ولأ ندري متى سيتم التغيير؟ ولكنه كان يلوح في الافق ابتعدنا عن المدفع بعد تعميره وشدينا الحبل لإطلاق القذيفة واهتز المعسكر من شدة ارتداد المدفع وبدانا نراقب من خلال المنظار الكبير مسار القذيفة التي سقطت في مواقع الملكيين تماماً واحدثت انفجارا هائلا تصاعد بعدها الدخان واعمدة الغبار إلى علو شاهق حتى بلغت جبل عيبان ويبدوا ان الريح قد لعبت دورها في دفع الدخان إلى ذلك المدى من الارتفاع وبعدها ضحكنا وتمنينا أن يأتي الوقت الذي نحقق فيه النصر الحاسم وتسكت المدافع لتحل محلها عجلة التطور والبناء لتحقيق اهداف ثورة (26)سبتمبر1962م التي سقط من اجلها الاف الشهداء.

كان انتصارنا في كل معركة نخوضها يعطيني دفعة جديدة من الامل واليقين بأن النصر حليفنا مهما كانت التضحيات وخلال الحديث قلت للأخ قائد الموقع مازحاً، لماذا لم يطلقوا القذائف إلى جبل عيبان الذي يسيطر علينا في مواقع عصر فرد قائلا :(نحن مستعدون في كل لحظه لأي دعم وعليكم الاتصال بناء وبالرغم من بعد المسافة بيننا وبين مواقع عصر فممكن أن نبلغ موقع السواحلي الذي يرابط في موقع خلف الصافية لتوجيه الضربات المنا سبه لتلقينهم دروساً لن ينسوها ابدا وقد عرفناهم اننا هناء لهم بالمرصاد ومهما كانت قوتهم فأنهم لن يحققوا أي نصر علينا فنحن نمتلك الامل والروح المعنوية كما ترى عالية بين الاخوة الجنود المسلحين (بالشميزر والتشيكي والبلغاري) السلاح القديم الذي استخدم لصد هجوم المانيا النازية على ابواب موسكو وهو قادر على صد هجوم جحافل الإمامة المطرودة ؟!)وبعد هذا الحوار صافحت قائد الموقع وصافحت الجنود الذين كانوا يراقبون الحوار وكلامنا وعلامة الفرحة على وجوههم والثقة والامل يغمرانهم وتركت ذلك الموقع حوالي الساعة الثانية بعد الظهر من ذلك اليوم، وكنت قد فهمت أن موقع المدفعية-85-م/د على بعد أربعمائة متر من موقع م/اول علي مثنى جبران 37م/ط/ وقد توجهت إلى ذلك الموقع وهناك التقيت بمجموعة من الضباط الشباب وكان منهم م/اول/ محمد يحيى الصالحي قائد الموقع واحمد علي العماد ويحيى القاضي ومحمد راجح الصياد وهو زميل تخرج معي الدفعة الخامسة الكلية الحربية، واحمد الاشول والاخرون ممن تربطني بهم علاقة صداقة، وتبين انهم من ابناء المناطق الوسطى، التي كوفئت فيما بعد بتدمير شبه كامل وخاصة مثل الحبيشيه، والعود والشعر وعمار وسفال الرياشية وعندما اقتربت، من ذلك الموقع لاحظت أن فيه مبنى صغير، يشبه اسطبل الخيل ووصلت باب المعسكر حيث كان الملازم/اول/ احمد علي العماد ينتظرني وكانت البسمة لا تفارق شفتيه، وهو شاب قصير القامة، احمر البشرة وله نظرات حاده وقد تخرج من الكلية الحربية في السنة التي سبقت مع الدفعة الثالثة وكنت قد تعرفت علية في الكلية وقد استشهد فيما بعد الحصار بسنين بسبب القتال(القبلي) الذي دار بين قبيلتي خبان وقيفت الذهب، لقد استقبلني بالا حضان، وكأني زائر قادم من (خارج الحصار)،فكل واحد كان يعتبر ويشعر انه بطل الحصار وانه يسجل صفحات من ذهب للتاريخ الذي سيقف طويلا يسجل بطولات الذين صمدوا في الحصار الذي ضرب حول صنعاء العاصمة الحبيبة، واخذني إلى المبنى، الذي يتوسط الموقع الصغير ،ولم يكن يوجد في الموقع اشجار، وعند مروري وسط المعسكر، رأيت ستة مدافع من عيار-85-م/دو-76-م/د وهاون -82-ورشاشين-ميم/ متوسط في جانبي الموقع، بينما رشاش اخر نفس العيار في الجانب الاخر للموقع، وكان موقع مدافع السواحلي الثقيل يبعد عنهم بحوالي كيلوا متر تقريباً ودخلنا المبنى الصغير وكانوا، قد جهزوه بأكياس الرمل(النيسة)من السطح ليقي الجنود من القصف المدفعي، كان المكان رغم صغره مليئاً بالضباط وكان بعضهم نائماً وقد صاح بهم الاخ العماد قائلا: (قوموا حاضرت الضباط عندنا ضيف قادم لزيارتكم فقام الجميع، في لحظة واحدة، وكأنهم تذكروا ايام (البروجي) في الكلية الحربية الذي كان يضرب فيقوم الجميع كل من سريره استعداداً ليوم دراسي جديد، لكن هنا كان (البروجي) هو احمد العماد زميلهم وعندما صحوا من نومهم وجدوا أن الضيف زميلهم: الذي لم يلتقوا به منذ شهور طويله، وقد تبادلنا السلام والعناق الحار وجلسنا ولم يكن احد يصدق أن الاخر على قيد الحياة فقد سقط اول شهيد/من دفعتنا بعد تخرجه من الكلية الحربية في معارك 1967م عندما اغارت عليهم الطائرات الإسرائيلية وهو الشهيد/ حسين صالح الجريزي، في 5 - يونيوحزيران على القاهرة لقد كان اول/ شهيد يمني تصيبه طائرات الميراج الاسرائلية وكان سقوط هذا الزميل بداية لسقوط مجموعة اخرى من الضباط الشباب من احسن الشباب المتخرجين في بدية1967م ثم جلسنا نتبادل الحديث حول القذيفة التي سقطت بشارع صالح الرحبي انف الذكر بيت الكدف قبل ساعات وقد اغضبهم ذلك، الحادث الاليم كما سبق فهرول اكثرهم بحماس إلى المدافع 85-و-76م/د ووجهوها هم نحو مواقع الملكيين يريدون الانتقام من الجبناء واطلقوا عدة طلقات، بينما الاخرون يضحكون لحماس زملائهم وكان الموقع يتكون من خمسة ضباط وثلاثة جنود هو كل اطقم المدافع التي تبين انها ستة مدافع والتي كانت تحت اوامرهم، وتبين لي أن الضباط هم اطقم المدافع الستة فقد كانت قيادة سلاح المدفعية غير قادرة على توفير جنود اطقم المد فعية وقد شكا لي الزملاء من النقص في الامكانيات حتى السلاح الخفيف لم يكن لديهم، وخاصة السلاح الشخصي، عداء المسدسات وكانت علامة الغضب موجهة ضد رياسة الاركان التي لم تكن تعرف ماذا يدور في اغلب الموقع، وكانت الحاجة وظروف الحصار تحتاج إلى قيادة شابة، وجديدة تكون قادرة على تحقيق النصر. وبعد أن تناولنا الشاي كان احد الجنود قد اعده سريعاً بعلب الفاصوليا الفارغة وبدأت مدافع الملكيين ترد على قصف مدفعيتنا ووقعت أول قذيفة خارج من المانع المعدني المكون من الأسلاك الشائكة الذي كان قد بني ايام وجود القوات العربية المصرية، وكانت القذيفة انذار لنا بعدها توجه الجميع إلى خندق طبيعي كان الفلاحون قد، اعدوه منذ مئات السنين، لمرور المياه القادمة من الجبال المحيطة ولم يكن ذلك الملجأ كافياً لحمايتنا الا أن الاخوان ضباط الموقع كانوا يعرفوا أن العدو، قد اكتشف موقعهم، وهو دائماً يقصف هذا الموقع ولم يكن يعرف بعد ذلك الخندق البسيط الطبيعي وقد لمست أن الاخوان لا يهتمون كثيراً، ولا يابهون لقصف العدو الذي يتعرضون له يومياً ليلا ونهاراً والغريب انهم لم يصابوا بأي خسائر عدا وقوع بعض الشظايا في قاعدة المدفع 76-م/د عطلت القاعدة عن الحركة عند اغلاقه. اما الافراد القليلون المرابطون هناك فلم يصب منهم احد، علما أن اغلب قوة الموقع كانت من الضباط كما سبق الاشارة، الذين تحولوا إلى اطقم للمدافع كما ذكر سابقاً وبعد أن انتهى القصف عدنا جميعاً إلى الموقع وجلسنا معاً في المكان السابق، حيث تبادلنا النكت المضحكة حول الحصار وخاصة حول؟!(الضباط الكبار وبعض الضباط الصغار الذين فروا من ارض المعركة، خوفاً من القصف وحفاظاً على حياتهم) لقد كان هذا المسلك مثار للسخرية والاستهجان ايضاً كان عناصر مدفعية الملكيين في الجبهة الجنوبية يتكونون بالإضافة إلى المرتزقة الاوربيين والامريكان من مجموعة من الشباب من قضاء يريم مثل؟(ناجي الهر دي وبربر وغيرهم وكان اغلب عناصر المدفعية التابعة للموقع الجمهوري تتكون من ابنا يريم والمنطقة، الوسطى0وكانت الشتائم ليلاً بين المهاجمين والمدافعين تشتد من الحرب بين ابناء القرية الواحدة وليس بين ابنا الوطن الواحد فقط؟ لقد كانت البطالة والجوع اضافة إلي التخلف والجهل السياسي، من اسباب استقطاب الملكيين للشباب من يريم وغيرها من مناطق الجمهورية، علماً أن المنطقة الوسطى، وخاصة يريم والنادرة والسدة هي التي انجبت القادة والشهداء العظام الذين لعبوا دوراً مهماً واساسياً دفاعاً عن الثورة مثل؟(الشهيد علي عبد المغني وعلي عبدالله الكها لي شهيد معركة سنوان انف الذكر)وكنا نتحدث مازحين عن ابناء يريم والسدة الذين كانوا في الموقع امثال قائد الموقع (م/اول محمد الصالحي ويحي القاضي واحمد العماد واحمد الأشول،) ووجهنا لومنا لهم مازحين ايضاً فقلنا لهم اذهبوا واقنعوا جماعتكم بالكف عن قصف صنعاء ومحاربة الجمهورية بعد ذلك الحوار الضاحك و الساخر حول هذا الواقع المؤلم، الذي جعل من الكادح البريء يحارب من اجل الذهب دون تفكير بمصيره، طلبت من الزملاء أن يساعدوني للذهاب إلى تبة النهدين وهذا الموقع كنت اعرف انه اخطر الموقع كما كانوا هم ايضاً لديهم نفس الشعور والتقدير، وطلبت منهم أن يرافقني احد الضباط من ابناء يريم وقلت لهم مازحاً: نحن ذاهبون للقاء مع بني عمكم لإقناعهم بعدم قصف صنعاء؟(فردوا على ضاحكين لابد أن تكون، ضيافتكم عندهم كبيرة اذهبوا ونتمنى لكم أن تعودوا بسلام !)وكان الاختيار قد وقع على الملازم/اول/احمد علي العماد الذي كان ضابط (سطع) الموقع الذي سبق ان اشرت إلى انه استشهد فيما بعد في حرب خبان وقيفة الذهب ودار بيننا عناق حار وكان كل واحد لا يصدق أنه سري، الاخر فبعد أن يذهب المرء إلى تبة الموت كما اسميناها بعد وصولنا اليها، لم يكن هناك امل في العودة بسلام وتحركنا من الموقع ونحن نعد الخطوات، وكان الملازم اول /العماد قد صعد عدة مرات لوضع اعمدة للمدفعية للضرب غير المباشر قطعنا الطريق مسرعين ،وكنت احمل الرشاش الصغير ، بينما كان الاخ م/1/ احمد علي العماد لا يحمل الا مسدسه ، وعندما اقتربنا من الشباب بدأت ضيافتنا فقد كانت الساعة الثالثة والنصف عصراً وذلك هو موعد اذان العصر حيث تكون المساجد مملوءة بالمصلين وتوجيه القذائف في مثل هذا الوقت كان مقصوداً فقد كان حقد المرتزقة الاوروبيين والامريكيين حقداً صليبياً وكانت هوايتهم اضافةً الى سحق الثورة تدمير مآذن المساجد على رؤوس اصحابها .

وعندما سقطت احدى القذائف على بعد خمس عشر خطو منا اسرعنا بالانبطاح ارضاً ، ومرت شظايا القنبلة من فوقنا وبذلك نجونا من اول موت محقق ، وصاح زميلي (لقد نجحنا والان نواصل السير صاعدين التبة الغربية من حيث الارتفاع. ووضعنا اول قدم اسفل التبة التي تبين لنا انها كبيرة وليس كما كنا نتوقع قبل وصولنا اليها ووجه زميلي إلى سؤالا ووضع حجراً صغيراً اسفل التبة قائلا (هل سنعود؟ إلى هذا المكان ام لا!) فكان ردي نحن وحظنا قد نعود او لا نعود .ولكن لسنا افضل ممن سقطوا قبلنا واعتقد ان الاستشهاد في هذا الحصار هو ذو مغزى كبير لتعرف الاجيال القادمة كم قدم جيلنا من تضحيات من اجلهم ؟ وبدأنا نواصل السير بخطى سريعة وثابتة ، ونحن نشعر باعتزاز اننا صامدون ، ولم يستطيع الملكيون أن ينالوا منا ،ولن يكون مصيرنا شبيهاً بمصير رجال الاحرار والاصلاحيين الذين فتك بهم الإمام احمد عام 1948م . والفرق كبير بين الامس واليوم ، فنحن اليوم نعيش تاريخاً اخراً ذلك كان شعورنا وحوارنا ونحن في طريقنا إلى قمة التبت . وبعد ان قطعنا 25مترا في نقيل التبت بدأت الرائحة النتنه والكريهة ترتفع كلما ارتفعنا ، وقد فهمنا ان هناك جثثاً متعفنة من جهة الطريق التي نمر بها . وبعد دقيقة واحدة ، فوجئنا بمنظر لم نشاهد مثله من قبل . لقد كان احد الجنود من جنود اللواء العاشر المجندين يلبس ملابس الجيش الشتوي يمسك بأحد المرتزقة . وكانا متشابكين وفي وضع يشبه المتصارعين. ومن سخرية القدر انهما قتلا بطلقه واحدة وهما في مثل هذه الحالة من الاشتباك . وكانت هناك مجموعة من الجثث منتشرة في مكان اخر بينما العظام والرؤوس والارجل قد فصلت منها والقيت في اماكن اخرى .انها اشبه بمجزرة كان الجندي يلبس بدلته الشتوية الصوف كما سبق، بينما المرتزق كان حافي القدمين ومرتدى الملابس القبلية المعروفة؟! يبدو أن المرتزقة عندما هجموا على هذه التبت في بداية الحصار لم يتمكنوا من خلع ملابس القتلى واخذها كما هوا معتاد عندهم . وكلما صعدنا اعلى واجهتنا المزيد من الجثث ؟ انها ملحمة غير معتادة . لقد خيل لنا ان العدو كان يهاجم من جهة صنعاء وبذلك تمكن من احتلال التبة من جهة الشمال ، وذلك ما حدث في بداية الحصار عندما سقطت التبة عدة مرات وخاصةً قبل تخصيص المدفعية لمواقع المطار الجنوبي .وفي منتصف التبة ظهرت مجموعة من قوة التبت ، وهم يحملون «دباب» المياه . وكانت قياداتهم قد وضعت لهم خزانا صغيراً للمياه اسفل التبة وكانت السيارة تقوم بتعبئته تحت قصف مدفعية العدو يوميا كان الخزان في مكان مموه حتى لا يكتشفه العدو اثناء هجومه الليلي فيقوم بتدميره او وضع مواد سامه داخله وذلك ما نبهتنا اليه مجموعة المياه عندما وجهنا إليها عدة اسئلة حول ذلك .؟!

تركنا المجموعة تهبط إلى اسفل التبة بشكل سريع ، وفهمنا ان ذلك يهدف إلى تجنب قصف مدفعية العدو ، وكانت الطريق إلى التبة خطرة جداً لأن القذائف التي كان مداها يطول أعلى قمة التبة، تقع على الطريق وتتصيد كل من يقع امامها ، من جميع الجهات ، وعلى بعد عشرين متراً من القمة .كانت توجد مجموعه من قوة الحماية الخلفية تراقبنا ، وكان البعض منهم ضاحكاً كانه كان يريد ان يقول؟ لنا (اننا هنا صامدون نتحدى الموت كل ثانية وكل دقيقة وكل ساعة وكل يوم .)وكانت تلك الابتسامة هي علامه النصر فمن يضحك في المعركة فهو واثق من نفسه ومن النصر . واقتربنا منهم وبدأت مراسيم السلام بيننا وبينهم فكان كل واحد يصافحنا ثم يعود الى مكانه مسرعاً ، وقد فهمنا انهم دائماً في حالة استعداد ولا يتجمعون مطلقاً خيفة ان تصيبهم قذيفة تقضي عليهم دفعة واحدة .وعندما دخلنا الموقع وجدنا مالم نكن نتوقع فقد كان في الموقع 70 فرداً من صاعقه الوحدات المركزية ، وهذه الوحدات جديدة كانت قد شكلت ايام حكم السلال عندما كان الا هنو مي وزيراً للداخلية وكانت قد تدربت تدريبا جيدا على ايدي المدربين المصريين ، ولكن القوى الرجعية استغلت ذلك وخاصة جماعة انقلاب 5نوفمبر 1967م وبثت دعاية حاقدة تقول: (ان تكوين صاعقة الوحدات المركزية انما هدفه ايجاد البديل لصاعقة الجيش) التي كان على رأسها النقيب/ عبد الرقيب عبد الوهاب نعمان . وقد اثبتت الايام اللاحقة أن تلك الوحدات كانت لحماية الجمهورية والثورة وحصار صنعاء يشهد على ذلك ، واتضح زيف ما اشيع وطرح عنها. وبعد تفقدنا للموقع كانت الصدمة الكبيرة اكثر لأن الموقع لم يكن مجهزاً بملاجئ هندسية، عدا جرف صغير يتسع لثلاثة افراد مع جهاز اتصال، وكان في جهة الشمال من المؤخرة في قمة التبة إضافة إلى رشاش(دكتيارؤف)وهو رشاش روسي قديم، وكان العريف محمد مسعد ثابت الكهالي انف الذكر والذي سبق الاشارة الية، يتمر كزفي هذا الجرف وفي الموقع الخلفي بالذات الذي كان اخطر المواقع والهاون عيار-81والرشاش /12و/7/م/ط يقف عليه الجندي صالح محمد المؤجان من قرية كهال ايضاً وكانت قمة التبة صغيرةً جدا من حيث المساحة وقد صدمنا عندما فهمنا أن ضابط التبة وهو من ابناء صنعاء قد هرب من اول ليلة ولم يعد وكان لذلك التصرف صدى سيئ عند الجنود والصف، وبعد أن شربنا الشاي اخذنا المنظار نراقب مواقع العدو، وكنا نلاحظ تحركاتهم، في المناطق المجاورة للتبة، ولكن قوتها لم تكن توجه النار اليهم، حرصاً على الذخيرة وحتى تستبقيها لمواجهة هجومهم ، الليلي وكان يوجد في كل متراس صندوق او اثنان من القنابل اليدوية الدفاعية . وقد قيل لنا ان القنابل اليدوية الدفاعية كانت هي المنقذ الوحيد لصد هجوم العدو ، بالإضافة الى قصف المدفعية الخلفي والتي كانت تغطي التبتين من الجهات الاربع وكان الجنود يشعرون بالرضاء لضربات المدفع عيار/ 37م/ط ، فعندما كان يوجه إلى الاهداف الارضية ، كان يحدث انفجاراً جوياً هائلاً قبل وصوله الى الارض ،وكان يصيب العدو الزاحف في مقتل ويثير الرعب في صفوفه .وعرفنا اثناء وجودنا في الموقع ان العدو يتقدم عادةً كل ليلة محاولاً اقتحام التبة ، ولكنه كان يعود مكسوراً مدحوراً بعد ان يتكبد خسائر جسيمة وكان الدليل امامنا على بعد عشرين متراً من المتاريس الامامية هناك كانت الجثث والارجل والعظام المتناثرة وكان الموقع يتعرض للقصف المتواصل ليلاً ونهاراً ، ولكن الافراد المرابطين فيه بالرغم من عدم وجود الملاجئ التي تقيهم من القصف كانوا مبادرين دائما، ولم يتركوا موقعهم الذي كان اهم المواقع في الجبهة الجنوبية بعد نقم والحفاء وكانوا يعرفون ان سقوط الموقع يعني سقوط شرف الوحدة العسكرية التي كانوا يفخرون بالانتماء اليها وكان يوجد في الموقع ضابط غير انه كان واقعاً تحت سيطرة الصف والجنود ، وقد منع من النزول من الموقع، بعد ان هرب زميله ، دون توقع لعودته وكان العريف محمد مسعد ثابت الكهالي يقف مع مجموعة صغيرة لحماية الموقع من اي هجوم خلفي للعدو ، ولمنع اي جندي من الانسحاب او الهروب عند اشتداد الضرب ،وخاصة بعض المجندين الجدد الذين لم يكن لديهم تجربة كافية للقتال ؟. وقد حدث ان حاول احد الجنود الهروب ليلاً فضرب بالرشاش وحوصر تحت احدى الصخور الصغيرة ،والقي عليها القبض وتعرض لعقاب جماعي من جميع افراد الموقع وتمكنوا بعد ذلك من ان يخلقوا فيه روح الصبر والشجاعة حتى تمرس على القتال ، واستمر حتى تم رفع الحصار ودحره،) وكانت عقوبة الهروب من المعركة هي الموت، ولكنها لم تطبق على الضباط الكبار الذين هربوا من صنعاء، وتركوا المعركة يتحملها سواهم ثم عادوا بعد ان اعدوا انفسهم اعداداً جيداً لتوجيه ضربتهم ضد القوى الوطنية والثورية التي صمدت اثناء الحصار في احداث 23/ 24 اغسطس 1968م .تعرفنا على احوال الجنود في الموقع ولم يكن العريف محمد مسعد موجوداً لأنه ذهب قبل مجيئنا إلى التبة بساعة واحدة مع سيارة (الكدم) الخبز والماء لجلب الطلبات إلى الموقع وكان جميع افراد الموقع لا يقبلون بنزول اي شخص الا بعد موافقة الجميع وتأكدهم من عودته اليهم في الوقت المحدد كان الضابط الوحيد الموجود في الموقع مرابطاً دائماً في متراسه لا يفارقه اطلاقاً ، خوفا من القصف ، وعندما مررنا عليه ، كانت ملامحه لا تشجع ، وقد همس لي الجندي صالح محمد مثنى آنف الذكر الذي كان على الرشاش والمدفع قائلاً: (انه ضابط جبان ويخاف من القتال ولكننا لن نتركه يذهب إلى صنعاء ليختبئ فيها ، بل سيظل هنا حتى الموت معنا او النصر .).

وقد فهمت ان هذا الموقف قد فرض نتيجة هروب الضابط السابق وهروب الضباط الكبار امثال (حسين المسوري ، والمقدم محمد الخاوي ، والعقيد علي سيف الخولاني واخرين) ولم يبق من الضباط الكبار الا مجموعة محدودة ،كان على رأسهم العقيد عبد الكريم السكري وكان هو الضابط الكبير الوحيد الذي ظل طوال الحصار ينقل التموين إلى المعارك رغم مصاعب الطريق . وحاولنا ان نضايق افراد العدو المتحركين بالرشاش 12،/7/ م/ ط/ وقد اطلق زميلي م /اول/ احمد علي العماد عدة طلقات على دفعات ولم يكن الجنود يريدون ان نطلق النار لان العدو سيرد على الطلقات بقذائف هاون ثقيل ، وبعد دقائق من ضربنا بدات ضيافتنا ، فقد وجهت الينا المدفعية قصفاً شديداً ورحنا نبحث عن مخبأ ضد القصف ، ولكن دون جدوى ، وتصورنا انها النهاية ، ولكننا اهتدينا الى صخرة صغيرة جلسنا خلفها بينما كان الجندي صالح محمد مثنى يجلس بجانب المدفع الرشاش الذي ضربنا به ، وهو يضحك ، وكنا نبحث عن الملجأ ، ونحن نضحك ضحكة الخوف والموت! ، أن بقاءنا امام قذائف العدو يعني الموت المحقق بدون ثمن وقد سقطت قذيفة فوق الصخرة الصغيرة التي جلسنا جنبها فغطى الغبار جسدينا وعند خروجنا كنا اشبه بمن سقط فوقه منزل تهدم وبدأنا ننفض التراب مع الحصى من فوق رأسينا وملابسنا وانتهى القصف بعد ان مرت احدى القذائف فوق رؤوسنا متجهةً نحو الموقع القريب من المطار ، وكان الجنود قد اجادوا التمييز بين القذائف التي تقع عليهم والتي تتجه بعد اطلاقها بثوانٍ باتجاه صنعاء وكانت حصيلة ضيافتنا 45قذيفة لم تترك مكاناً ظاهراً في التبة الا اصابته وكان الجنود في متاريس مكشوفؤ كان من السهل تدميرها لو سقطت أي قذيفة داخل المتراس ولكن المفارقة العجيبة والقدرة الالهية ان القذائف رغم صغر مساحة التبة لم تقع واحدة منها على اي مجموع! ذلك ما اخبرنا به الجنود انفسهم كانت الساعة الخامسة والنصف عندما اتجه القصف صوب صنعاء ومواقع نقم والحفا . وبينما نحن نراقب الدخان الذي كان يتصاعد ودوي الانفجارات المستمرة خرج الجنود من المتاريس وبدأ يروي بعضهم ويضحك من سخرية القدر الذي اعطى الملكيين هذا السيل الهائل من قذائف المدافع ، ولكنهم فشلوا في تحقيق اي نصر او هدف ، في مواقعنا العسكرية فيلجؤون الى صنعاء لإرهاب السكان المدنيين .كان الجنود في كل موقع يتمنون أن يكون القصف الموجه إلى صنعاء لإرهاب السكان المدنيين موجهاً إلى مواقعهم ، بدلا من قصف المدينة ، وقد قلنا لهم ان صنعاء تسهر ليلياً على انوار المعارك التي تدور حولها وخاصة تبتي النهدين ، حيث انهم اجعل هذين السطرين في الحلقة القادمة.

يتبع

› العميد الركن /صالح الكهالي

مظاهرة في الحديدة بمناسبة عيد الثورة عام 1968قبل تدمير مقر المقاومة الشعبية 68م